خاتمـــة

الخاتمـــة

كان الهدف من هذا البحث هو إثراء "سقط الزنـد" وإذكـاء نـاره ، وإحيـاء الـروح الإنسانية التي تقبع فيه بعد أن خبت جذوتها ، وانطفأت شعلتها ، وطال اغترابها ، وذلك من خلال قراءة لغته قراءة لا تتأسس على النقص والسذاجة ، وتسعى إلى الكشف عـن الرؤية العلائية في هذا الديوان ، وخصوبة أعماقها ، وجمالياتهـا الـتي تشـكل أبعـاد لغـة الشعر .

وربما تعذر على الباحث أن يرصد ما توصل إليـه مـن نتـائج ، فلعـل البحـث كلـه نتيجة قراءة وبحث في سقط الزند ، مما يعني أن البحث ذاتـه هـو النتيجـة . ولكـن أشـير موجزاً إلى أن الفصل الأول كان محاولة أسفرت عن بلورة أهم أبعاد لغـة الشـعر ، علـى الأقل في ذهن الباحث وخلفيته المعرفية ، كذلك أسفر المبحث الثاني عـن حقيقـة علاقـة أبي العلاء بلغة الشعر، بما لا يدع مجالاً للشك في قدرة أبي العلاء الفذة على التعامل مع اللغة والخيال والفن . كما أسفر المبحث الثالث عن أن أبا العلاء لم يعتزل الناس والحيـاة ، وإنما شقي بهموم الإنسان وآماله ، وحاول التخلص من القيد والعجز الإنسانيين .

وقد كشفت الفصول الثلاثـة التاليـة عـن حقيقـة أساسـية في الرؤيـة العلائيـة هـي استيعاب أبي العلاء وفهمه العميق لتراث أسلافه من الشعراء ، فقد كان أبو العـلاء ابنـاً شرعياً لثقافته العربيـة ، وإن اتسم نتاجه بخصوصية علائية فهذا أمر طبيعي كما كشـفت تلك الفصول عن عمق الرؤية العلائية وخصوبتها وتعـدد أبعادهـا ، وذلـك مـن خـلال الاقتراب الحميم من نصوص السقط وما يموج بها من قلق وتوتر وصراع ، ولـذا كانـت المفارقة إحدى أهم سمات تلك الرؤية الشعرية العلائية . فقد كانـت الرؤيـة العلائيـة في سقط الزند تقوم على المفارقة ؛ إذ كانت المفارقة ، أو التفكير من خـلال التنـاقض أمـارة الوعي بأزمة الوجود الإنساني ؛ من ثم كانت المفارقة مدخلاً صالحًا للكشف عن جـوهر الرؤية العلائية ، من خلال تتبع حركة الدلالة ومساراتها العميقة .

ولعل الفصل الثالث قد خلص إلى نتيجة مفادها أن الرؤية العلائية في السقط تتمركز حول النموذج الذي عكف أبو العلاء على تأمله واستكشافه ، وأن الرحلة إليه دائماً ما كانت رحلة إلى الأعماق ، وبحثاً عن الحقيقة ، فقد كان النموذج العلائي مناط تساؤلات إنسانية عميقة ، تضرب بجذورها في أعماق الوجود الإنساني ، كان النموذج يشكل رغبة الإنسان في الخلاص من القيد والعجز كان يجسد حلما ورغبة بعيدة المنال . يحفل السقط بحركة عقل متوثب ، لم يكف عن مساءلة الوجود الإنساني ، والقلق بشأنه ، كان أبو العلاء بعد ذلك وعلى الرغم مما يبدو من اليأس والقنوط وفياً للحياة ، وشقياً بها ، إذ لم يجدها كما حلم بها . وإنما وجد أمرها أدباً .

وكذلك خلص المبحث الثاني من الفصل الثالث إلى أن الدرعيات تشكل سمة بارزة من سمات الرؤية العلائية وبنية رمزية مكتملة . وقد انطوت على صراع نفسي عميق ، وقد حاولت أن أكشف عن الموقف الذي تنطلق منه ، فوجدته متواصلا في العمق مع السقط ، فالدرعيات محاولة استنفدت رمز الدرع في التراث ولكنها أمدته كذلك بسياق وحياة جديدين ، وقد اجتهدت في قراءة الدرعيات ، وإن شط اجتهادي ، فعذري أن أحداً قبلي لم يقدم قراءة لها . أو أنني لم أعرف – على حد علمي – من قرأها .

أما الفصل الرابع فقد أسفر عن عدة نتائج منها ثراء لغة أبي العلاء وخصوبتها فقد حفل السقط بمظاهر جمالية كثيرة ، أهم ما يميزها هو التحامها ببنية العمق ؛ فالنسيج الصوتي للغة الشعر في سقط الزند يمتاز بجمالية عالية بما يكشف عن شاعرية أبي العلاء ويؤكد تمكنه من أدواته الفنية ، فهو شاعر صنع .

وبعـــد ..

فهذا عمل متواضع قصدت به الكشف ، قدر استطاعتي ، عن أعماق لغة الشعر في سقط الزند ، فإن كنت قد هديت إلى بعض ما أصبو إليه فهو حسبي ، وحسبي من أبي العلاء رفقته .